



عبدالله بنى عرابية*

انتظر طويلاً ولم يقنط من رحمة الحكومة. انتظم في صف المنتظرين. والأرض التي اكتظت بعناصرها وتوقعاتها لم تنس أن تحجز له حيزاً ضئيلاً على أديم مفازاتها الفسيحة مشرطة خاتم الحكومة على صكوك رسمية طال أمدها وتمدد واستطال، واستفحل في موازاته توجس ويأس.

يرتفع عدد القتلى في صفوف الأعداء فتزداد حماقة جديدة في كدس الحماقات التي يجمعها التاريخ منذ أيام قابيل وهابيل!

إنهم يشقون أديم الأرض شقاً بشيفرات آلاتهم الحادة الثقابية، عمال الصرف الصحي، ثم يزرعون أنابيبهم في جوفها ويهيلون التربة عليها، غير أن الأمر ليس بريئاً كما يبدو على هذا النحو، فسطح الأرض لا يعود كسابق فطرته أنيقاً منبسطاً. وتظل الأرض ترتق ثوبها بعد أن تداوي جروحها وتخفي ندوبها البشعة.
هل أدرك العمال أن أحفادهم لن يعيشوا هنا.

* as_baniarabah@hotmail.com



TUESDAY 11 MAY 2010

الثلاثاء ٢٦ من جمادى الأولى ١٤٣١ هـ. الموافق ١١ من مايو ٢٠١٠ م

دجالو الفن

عبدالكريم الميميني*



إنني إذ أمس بهذه الكلمات في أذن القارئ فإنني أود أن أوضح فكرة أجلي من خلالها حقيقة طال على غموضها الزمن، وظل يتداولها مدعو الفن في عالمنا بشكل كبير، وقد أصبح من الواجب الهمس بها علانية، ذلك بعد أن عمت البلبلية والتشويش عقول الناس بسببها. هي مجرد نظرة أسلط من خلالها بقعة الضوء على فئة من المتسلقين الذين قدموا إلى منصة الفنون بغناء فكري واه، وبدون سمات روحية تدل على حسن وجمال موهبتهم وإبداعهم، ويبدوا لي أكبر الأسباب وراء توجههم هذا أنهم استحسنا أن يطلق عليهم لقب فنان، فسعوا إلى الحصول على هذه الصفة الثقافية المبدعة بشتى الوسائل والطرق بعد أن اختصروا معها المسافات وقللوا على أنفسهم عناء البحث والدراسة وتقديم بعض الجهد والمثابرة في اعتراف العلوم والمعارف في حقل الفنون التشكيلية التي كانت لو سلخوا طريقها ليجتهدوا يقفون على قاعدة صلبة راسخة، وسينتجون من خلالها فنا ذا معانٍ وقيم عالية، وسيتحدثون بثقة عنها بأفصح وأوضح العبارات وأدقها، ولكنهم أبت أنفسهم الدخول من هذا الباب، فتطاولوا على هذا الفن واقتحموا أسواره عنوة، وعاثوا فيه الفساد، فهؤلاء بحق هم دجالو الفن والمتشوقون بفكرهم على نتاجاته.. ولعل هذا الوصف الحواري معهم قد يوضح لكم من هم وعلى أي معنى يستندون في إجاباتهم، فعندما ترى أحدهم يرسم لوحة ما، وتقف لتسأل ماذا ترمس؟ سيرد قائلاً: في الفن لا يسأل عن شيء، هو إحساس وقشعريرة وقلق؟ وإذا سألت آخر من دجالو الفن عن لوحته: بأنك لم تفهم ما تعني اللوحة أو العمل الفني الذي أنتجه! سيجيبك: بالفهم؟! في الفن الحديث يجب أن لا تفهم، إياك ثم إياك أن تفكر بالفهم وما يشبه الفهم.. هذه أحبابهم، وتلك هي زندقتهم البارعة ودجلهم التي أسفرت عن قلة علمهم وضعف حججهم وقصر عقولهم.

يقول الفنان مصطفى فروخ أن كل فكرة في جوهرها جميلة خيرة إذا لم يعث بها عايب ولم يستغلها مستغل، فالأدب جميل لا جدال في ذلك، ولكن استنماره قبيح، والقانون نافع، ولكن اللعب به جريمة، والعلم مفيد ولكن تسييره في غير ما وضع له ضرر، والحب، وهل شيء أشرف منه؟ إنه يصبح شراً وعاراً إذا استغل وحول عن غايته. وهذا هو شأن الفن أيضاً، فقد يأتي ممن وهب سعة الحيلة وسهولة الكلام فيلبغ بالألفاظ ويادور بالأفكار حتى تكاد تشبه الحقيقة، فيخدع بلمعانه ذوي القلوب، ليس باستطاعة أحد أن يدعي أن العلم مضر، ولكن من العلم ما قتل! ومن ينكر ضرورة التغذية، ولكن منها ما أودى بالشرابين إلى القبر. وهكذا نرى اليوم أن بعض الناس من يقوم تحت ستار التجديد والتحرر والعبقرية، وما إليها من الألفاظ والمعاني المعسولة، بما يخدع الناس فيكون ذلك الضرر العظيم والشر المستطير، سئل اديسن عن العبقرية فأجاب: "ربعها وحى والباقي تعب وجهد وتصيب عرق" فالعبقرية في الفنون بحاجة إلى درس وعمل ومثابرة وسهر ليل إذا جاءت بدون ذلك فستكون كلام دجل سخيف وشعوذة ولعب ساذج على العقول. وإذا ما قرأنا حياة مشاهير الحركة الفنية التشكيلية العالمية لوجدنا العباقرة أمثال ديلاكروا وغوغان وريوار وبيزان وغيرهم قد بلغوا أوسع ما بلغوه في الفن بعد تعب ويحت وتضحيات غالية قامت على الدرس الطويل والبحث المستمر والتأمل العميق. ألم يدرس كل منهم الفن من ألفه إلى يائه؟ ألم يكونوا كلاسيكيين أولاً؟ ألم يبنوا بحثهم وتجددهم على أساس الكلاسيكية؟ لقد أحب الفنان الإنجليزي (ترنر) النور وسكبه على لوحاته فإذا هي تفيض شعاعاً ثم قال: النور هو إله. على حد زعمه - فجاء بعض دجالو الفن اليوم، وترك في المعرض لوحة تكاد تكون بيضاء ثم قال: أه!! النورا النور والفضاء الفسيح.. ولقد أحب الفنان الأشهر (رامبرانت) الظل، فجاء أحد مستغلي الفنون في عصرنا الحديث اليوم ودهن لوحته كلها بالأسود وهتف: أه، الظل! الظل والتدجيل العظيم، وحتى يغالطوا الفكر السوري يقولون لك: إن الفن ليس آلة فوتوغرافية! وهذا صحيح. ومن قال إن الفنان يصور الواقع فوتوغرافياً؟ فهل "رامبرانت" و"ترنر" و"دوفنسي" وغيرهم صوروا فوتوغرافياً؟ بل دجالو الفن اليوم يتقلون عن الفوتوغرافية ويمسخونها، ثم يدعون بأنهم مبدعون، ولكن منذ القدم عرف الكسالى الفاشلون بالحيلة والترثرة.

إن رسالة الفن الحق ككل رسالة فكرية، هي التعبير عن النفس وإظهارها إلى العالم للمشاركة والفائدة، فإذا نحن أتينا بشيء غير مفهوم وليس له أساس، جهلنا الناس وضاعت الغاية، ولذلك يجب على الدجالين أن لا يعرضوا إنتاجهم على الناس بل عليهم أن يحفظوه لأنفسهم. ولقد وضعت اللغة للتعبير عن غاياتنا، والأدب مثلها، ولكن على مستوى رفيع وأسلوب شيق ضمن المفهوم، وكذلك الموسيقى والتصوير، وبدون ما يسمونه (الفن) يصبح الضجيج والقطعة الموسيقية متساوين، ويصبح الأدب والترثرة شيئاً واحداً، ويتساوى الفن مع الشخبطة، ولكن في نظر من لا ينظرون!

al-maimani@hotmail.com



مختارات - صالح العامري*

وجوه وظلال (٢٤)

ملاحون

طعام جعفر الملاح:

ركب الخليفة المقتدر يوماً على غفلة، وعبر إلى بستان الخلافة في نوفر من الخدم والغلمان. وتشاغل أصحاب الموائد والطباخون بحمل الآلات، فتأخر إعداد الطعام. وجاع المقتدر فعجل في طلب الطعام، فقيل له لم يحمل بعد. فقال: هاتوا ما فرغوا من طهيته. فخرج الخدم متحيرين لا يجسرون أن يعودوا فيقولون ما جاء شيء. فسمعهم جعفر ملاح زورق المقتدر، فقال: إن كان يقبل مولانا أن يأكل طعام الملاحين، فمعي ما يكفي. فمضوا فذكروا ذلك للخليفة، فقال: هاتوا ما معه! فأخرج جعفر من الزورق جدياً بارداً وإداماً وأرغفة سميد جيدة، وكل ذلك نظيف. وإذا هو طعام يعمل لجعفر في منزله في كل يوم، ويحمل إليه، فيأكله في موضعه من زورق الخليفة ويلازم الخدمة. فلما حمل إلى المقتدر استنظفه فأكل منه واستطابه. وجاءت الأطعمة من مطبخه فقال المقتدر: ما أكل اليوم إلا من طعام جعفر الملاح! وأتم أكله منه، وأمر بتفرقة الطعام من مطبخه على من حضر. ثم قال: قولوا لجعفر هات الحلواء! فقال جعفر: نحن لا نعرف الحلواء! قال المقتدر: ما ظننت أن في الدنيا من يأكل طعاماً لا حلواء بعده! فقال الملاح: حلواؤنا التمر، فإن رضي أمير المؤمنين أحضرته. فقال المقتدر: لا، هذا حلواء صعب لا أطيقه. أحضروا لنا من حلواننا. فلما فرغ من طعامه قال لغلمانه: اعملوا في كل يوم طعاماً ينفق عليه ما بين عشرة دنانير إلى مائتي درهم، وسلموه إلى جعفر الملاح، ويكون يرسم الزورق أبداً، فإن ركب يوماً على غفلة كما ركب اليوم، أجد الطعام معداً. وإن غربت الشمس ولم أركب كان الطعام لجعفر. فكان الطعام يعمل له كل يوم إلى أن قتل المقتدر، وما ركب المقتدر بعد ذلك اليوم على غفلة، ولا احتاج إليه!

من كتاب "تاريخ بغداد" للخطيب البغدادي.

من أقوال جبران خليل جبران:

"إنني سائح وملاح في وقت واحد، وفي كل صباح أكتشف قارة جديدة في نفسي".

من حكايات سعدي الشيرازي:

كنت في سفينة مع طائفة من الكبراء، فغرق زورق من خلفنا، ووقع منه أخوان في دوران التيار، فقال أحدهم للملاح: خلص هذين الأخوين ولك مني مائة دينار. فما أنقذ الملاح أحدهما حتى هلك الآخر. فقلت: حيث نغد عمره حصل التواني بإنقاذها. فتبسم الملاح وقال: إن ما قلته صحيح، غير أن ميل خاطري

ولم يكن باستطاعة أي شيء أن يغير مصيرك: منذ تَمَوَّت على خبز الشعير، حينما كنت صغيراً، وحينما حصلت لنفسك على هذا الخبز الذي تتناوله الآن.
...في شهر أبريل: سيغمر الربيع عالمنا من جديد، وستزهو أشجار الصفصاف على طول شاطئ النهر حيث قفزت ذات مرة: قدم صغيرة حافية قفزت وارتفعت....

من "الأدب والثورة - قصائد من الشعر الروسي": ت. صبري حافظ

الملاح يتهيأ لركوب البحر الهائج: لرابندرانات طاغور:

الملاح يتهيأ في الخارج لركوب البحر الهائج، تحت جنح الليل. القلوع تئن على جذب الرياح الغضوب التي تملأ أشعتها. وتمزقت السماء بمخالب الليل، وتطامنت فوق البحر وبثت فيه سم المخاوف السوداء. الأمواج تنفض ذراها نحو الحلقة الساذجة، والملاح يتهيأ في الخارج ليركب البحر الهائج. لا أعلم أي موعد ينتظر الملاح في الخارج وهو يُرْعِش الليل ببياض مفاجئ من أشرته.

لا أدري أي شاطئ يرسو عليه أخيراً ليصل إلى الحديقة الصامتة، حيث ينير المصباح، فيلقى تلك التي تنتظره وهي تقتعد التراب.

إلى أي هدف يسعى قاربه الذي لا يهاب العاصفة والظلام؟ تراه متقللاً بالجوهر واللائي؟ لا: إن زهرة بيضاء في يده وأغنية على شفثيه ليقدّمها إلى تلك التي تسهر وحدها في الليل، مع مصباحها المنير. إنها تسكن في كوخها القائم على الطريق.

وغدا تهرأ تنوس في الريح وتخفي عينيهما. العاصفة تعول عبر الأبواب المحطمة وترنح النور في مصباحها، مريقاً ظلاله فوق الجدران.

إنها لتسمعه في زيف الريح، يناديها باسمها، هي ذات الاسم المجهول. منذ زمن طويل ألقع الملاح. ينبغي مرور زمن طويل حتى يسفر الفجر ويقرع بابها.

لن تضرب الطبول ولن يعلم أحد. ولكن سيفيغ النور الدار وسيضحى التراب مباركا سعيداً. ستتلاشى الشوك كلها، في صمت، حين يصل الملاح إلى الشاطئ.

ت. بديع حقي، من "جنى الثمار"

* شاعر عماني



الصورة بعدسة تيسيرة البرام

ت. ماهر شفيق فريد - "مختارات من الشعر الإفريقي والآسيوي"

ملاح الفضاء، إلى ذكرى جاجارين، للشاعر الروسي فاسيلي تيوزكين:

الثاني عشر من ابريل: يا له من يوم جليل رائع، محفور في كل القلوب فقد أحس فيه كل منا بعظمته وبدا العالم وكأنه يقطع نحو الطريق الأفضل: خطوات فاسحا حتى لهؤلاء الذين لم يتيقنوا أبداً من أن باستطاعتنا أن نحرز الانتصار. وأخذت موسيقى الكواكب العظيمة تصلصل وهففت أعلام حلمنا الكبير في أمواج الشمس.

أحست الأرض كلها بأنه ابنها الحبيب. في داخل كبسولته: جلس ذلك الرجل، ابن أرضنا، وكان قلبه اليافع مشدود إلى الأرض.

لقد انطلق إلى أعلى، وأخذ مداره حولها، ليصبح الإنسان الأول في الفضاء، منذ بدأت الحياة فوق عالمنا العتيق ذلك.

... كان مولدك في كوخ ريفي مبنّي بأغصان الصنوبر، ولم يكن ثمة من سمع أبداً باسم تلك الأسرة ولكن بك أنت تشامخ هذا الاسم إلى أبعد حد